

مراتب الإدراك في قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝﴾ (التكاثر: 5 - 8).

معنى (ال) في لفظ «الْيَقِينِ»:

أداة التعريف (ال) في لفظ «الْيَقِينِ» في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ تفيد الاستغراق الجنسي⁽¹⁾، أي: التي تدلُّ على الحقيقة الكاملة لمفهوم الاسم الدّاخل عليه، لا لمعهود معين أو فرد مخصوص منه، فـ«الْيَقِينِ» هنا ليس يقيناً خاصاً معيناً يُقابل بغيره، وإنّما هو الحقيقة الجامعة لليقين كلّ، أي: جنس اليقين في أعلى مراتبه وأشدّ صورهِ وضوحاً وقطعاً.

واختيار هذه (ال) الاستغراقية يراد به إفادة أنّ ما ذُكر في الآيات من أحوال الموت وما بعده ليس مجرد مثال من أمثلة اليقين، بل هو تمام حقيقة اليقين ومظهرها الأكمل، فهو لا يحتمل ريباً، ولا يشوبه شكٌّ، ولا يُحتاج معه إلى مزيد تأكيد أو دليل.

نوع الفاء ودلالاتها في قوله: ﴿فَسَبِّحْ﴾:

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ رابطة لجواب شرط مقدّر «بِاسْمِ» متعلّق بحال من فاعل سَبَّحَ⁽²⁾، وهي فاء الفصيحة، وهي التي تُفصح عن شرط مقدّر أو نتيجة ضمنية يفهمها الذّهن من السّياق، وتُفيد ترتّب ما بعدها على ما قبلها معنئ لا زمنئاً.

وقد جاءت هنا بعد ختم السّياق العظيم بقوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾، فكان المعنى: إذا علمت أنّ ما سبق هو حقيقة اليقين، لا

اليقين الكامل
التّامُّ في معناه
وحقيقته هو
المبني في هذه
السّورة

الفاء الفصيحة
تربط النتيجة
بالشرط وتثبت
التّسبيح
الواجب

(1) السّامرائيّ، معاني النّحو: 1/ 107.

(2) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 27 / 126.

مرية فيه ولا خفاء، وأنَّ مصير الإنسان يتوقَّف على حاله عند لقاء ربِّه، فكان لزاماً أن تُقابل هذه الحقيقة العظمى بالتَّسبيح لربِّها، ف﴿فَسَبِّحْ﴾ جاءت إثر هذا البيان؛ لتكون نتيجة طبعية لما تقدَّم من عرض مشاهد القيامة ومصير الخلق، وكأنَّك إذا أيقنت حقَّ بما سمعته، لم تملك إلا أن تُنزه الله عن كلِّ ما لا يليق بعظمته، وتُعظِّمه بهذا الذِّكر الجامع.

وذكر ابن عاشور أنَّ الفاء هنا "تفريع على تحقيق أنَّ ما ذكر هو اليقين حقًّا، فإنَّ ما ذُكر يشتمل على عظيم صفات الله وبديع صنعه وحكمته وعدله، ويبشِّر النَّبِيُّ ﷺ، وأمَّته بمراتب من الشَّرف والسَّلامة على مقادير درجاتهم وبنعمة النِّجاة ممَّا يصير إليه المشركون من سوء العاقبة، فلا جرم كان حقيقةً بأن يؤمر بتسبيح الله تسبيحاً استحقَّه لعظمته، والتَّسبيح ثناء، فهو يتضمَّن حمداً لنعمته وما هدى إليه من طرق الخير"⁽¹⁾.

غرض الأمر في فعل (سَبِّح):

الأمر في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ هو أمر تعبُّدي يراد به تحريك النَّفس إلى التَّعظيم والتَّنزيه بعد أن شُحن السِّياق كلُّه بمشاهد الحقائق الكبرى: مفارقة الرُّوح للجسد، ومصائر النَّاس في الدَّار الآخرة، ومقام التَّهديد للمكذِّبين، والتَّبشير للمقرَّبين.

فكأنَّ الله تعالى بعد أن عرض حقائق الموت والجزاء، وأبان أنَّها من حقِّ اليقين؛ نبَّه السَّامع إلى ما يجب أن يكون أثر هذا اليقين في النَّفس، ألا وهو الانفعال لله بعظمته، والانخلاع من الغفلة، والتَّسبيح تعظيماً للرَّبِّ الذي رتَّب هذه المصائر بحكمة وعدل.

وهذا الأمر بالتَّسبيح ليس لمجرَّد الذِّكر اللفظيِّ، بل هو توجيه

تعظيم القلب
واستحضار
عظمة الله بعد
بيان الحقائق
الكبرى

(1) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 350 / 27.

إلى الانقياد القلبي والتَّخْلِيَة من شوائب التَّعْظِيم لغير الله، واستحضار كمال صفاته، بعد أن أبانت السُّورة جلال تدبيره في الخلق والموت والبعث.

نوع الباء ودلالاتها في قوله: ﴿بِاسْمِ﴾:

الباء في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ هي باء الملازمة، أي: سَبِّحْ ملازمة اسمَ رَبِّكَ، أي: متلفظًا به، وجاعلاً التَّسْبِيحَ مقترنًا بذكره، لا مجرد تنزيه مجرد عن المُسَمَّى، فالمقصود أن يكون التَّسْبِيح باسم الله العظيم، لا بذات منقطعة عنه، بل على وجه يليق بجلاله.

التَّبرُّك باسم
الله تعالى
كاشف عن
التَّعْظِيم
وموصل إلى
التَّجِيل

وهذه الباء تفيد التَّبرُّك أيضًا، أي: سَبِّحْهُ مستعِينًا ومرتزودًا ببركة اسمه، وفيه ما يُشعر بأنَّ ذكر الله في ذاته قوَّة تهدي، وتسند، وتطهِّر النَّفْس، وتؤهلُّها للانقياد والخشوع، فيكون التَّسْبِيح على وجهه الأكمل.

دلالة إضافة (اسم) إلى لفظ الرُّبُوبِيَّة:

جاءت الإضافة في (اسم رَبِّكَ) على وجه بليغ جامع، يحمل معاني الرُّعاية والامتنان والتَّمجيد معًا؛ إذ أُضيف (اسم) إلى ﴿رَبِّكَ﴾ دون غيره من الأسماء الإلهية، فاختر الوصف الجامع لمعاني العناية واللطف والتَّدبير؛ ليكون التَّسْبِيح متوجِّهًا إلى الرَّبِّ الَّذِي يتولَّى عباده من لحظة وجودهم حتَّى مصيرهم الأبدي، وهو ظاهر المناسبة مع تفصيل أحوال النَّاس عند الموت في سياق السُّورة.

الاسم المنجي
من ضال
المكذِّبين مضاف
إلى دليل العناية
والرُّعاية

غرض إضافة لفظ الرُّبُوبِيَّة إلى ضمير المخاطب:

إضافة لفظ الرُّبُوبِيَّة إلى ضمير المخاطب في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾، جاءت على وجه بليغ، لما فيها من إشعار بالقرب والتَّكريم، وبيان صلة خاصَّة بين المخاطب وربِّه، واختيرت الرُّبُوبِيَّة دون غيرها من الأسماء الإلهية؛ لأنَّها أنسب بالمقام الَّذِي

الإشعار بالقرب
والتَّكْرِيم
والتَّشْرِيف لِمَا
آمَنَ بِالْعَظِيمِ

يُذَكِّرُ فِيهِ الْإِنْسَانَ بِمَبْدئِهِ وَمَصِيرِهِ، وَتُعْرَضُ فِيهِ دَرَجَاتُ النَّاسِ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِمْ، فَفِي إِضَافَةِ (رَبِّ) إِلَى ضَمِيرِ الْمُخَاطَبِ (كَ) مَا يَفِيدُ اخْتِصَاصَ هَذَا الرَّبِّ بِتَرْبِيَّتِكَ وَرِعَايَتِكَ وَهَدَايَتِكَ، فَهُوَ رَبُّكَ الَّذِي يُوْحِي إِلَيْكَ هَذَا الْبَيَانِ، وَالَّذِي دَعَاكَ لِتُبْلِغَ هَذَا التَّفْصِيلَ الْبَيِّنَ، وَهُوَ تَعْبِيرٌ يَشِي بِكَمَالِ الصَّلَةِ بَيْنَ الْعَبْدِ وَالرَّبِّ، لَا سَيِّمًا إِذَا جَاءَ بَعْدَ تَقْرِيرِ حَقَائِقِ الْمَعَادِ وَالْمَصِيرِ، بِمَا يُحْفَظُ الْعَبْدُ عَلَى مَزِيدٍ مِنَ الْخُضُوعِ وَالتَّتَنُّيهِ.

فائدة الوصف بصفة ﴿الْعَظِيمِ﴾:

اختيار وصف الله العظيم في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾؛ لَأَنَّ الْعَظِيمَ هُوَ الَّذِي مَلَأَتْ عَظَمَتُهُ جَمِيعَ الْأَفْطَارِ وَالْأَكْوَانِ، وَزَادَتْ عَلَى ذَلِكَ بِمَا لَا يَعْلَمُهُ حَقُّ الْعِلْمِ سِوَاهُ؛ لَأَنَّ مَنْ لَهُ هَذَا الْخَلْقُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ الْمَحْكَمِ، وَهَذَا الْكَلَامُ الْأَعَزُّ الْأَكْرَمُ، لَا يَنْبَغِي لِشَائِبَةِ نَقْصٍ أَنْ تَلَمَّ بِجَنَابِهِ، أَوْ تَدْنُو مِنْ فَنَاءِ بَابِهِ⁽¹⁾، فَجَاءَ وَصْفُ الرَّبِّ فِي خَتَامِ هَذِهِ السُّورَةِ بِ﴿الْعَظِيمِ﴾؛ لِمُنَاسِبَةِ مَا سَبَقَ مِنْ تَفْصِيلِ جَلِيلٍ فِي شُؤْنِ الْمَصِيرِ وَالْجَزَاءِ، وَمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ الْآيَاتُ مِنْ عَظَمَةِ التَّدْبِيرِ الْإِلَهِيِّ فِي مَصَائِرِ الْخَلْقِ وَتَقْسِيمِهِمْ إِلَى مَرَاتَبٍ ثَلَاثَةٍ، تَتَبَايَنُ بَيْنَ قَرَبٍ وَجَنَّةٍ، وَسَلَامٍ وَأَمَانٍ، وَنَزَلَ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةِ جَحِيمٍ، فَكَانَ فِي خَتَامِ ذَلِكَ أَنَّ أَمَرَ النَّبِيِّ ﷺ - وَمَنْ وَرَاءَهُ كُلُّ سَامِعٍ مَعْتَبَرٍ - بِأَنْ يُسَبِّحَ اللَّهَ ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾؛ تَنْزِيْهًُا لِمَنْ أَجْرَى هَذِهِ الْقِسْمَةَ الْعَادِلَةَ، وَأَظْهَرَ هَذَا السُّلْطَانَ الْمَطْلُوقَ، وَحَكَمَ عَلَى الْعِبَادِ بِمَا كَانُوا عَلَيْهِ، فَلَمْ يَظْلَمْ أَحَدًا، وَلَا غَابَ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِمْ.

وَالْوَصْفُ بِ﴿الْعَظِيمِ﴾ هُوَ مِنْ أَعْظَمِ أَوْصَافِ الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ، فَهُوَ يُشْعِرُ بِجَلَالِ الرَّبِّ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ، وَمَا يَنْبَغِي لَهُ مِنْ تَعْظِيمٍ وَتَنْزِيْهٍِ وَتَمْجِيدٍ، لَا سَيِّمًا بَعْدَ أَنْ بُيِّنَتْ دَلَائِلُ قُدْرَتِهِ فِي خَلْقِ الْإِنْسَانِ

(1) الْبِقَاعِيُّ، نَظْمُ الدَّرَرِ: 7/ 431.

ومصيره، وفي تسخيره للمقادير، وفي كشفه لحقائق الغيب التي يعمى عنها المكذبون.

براعة التصدير بردّ العجز على الصدر بين أوّل السّورة وآخرها:

إنّ سورة الواقعة تمضي في بنائها البيانيّ على نسقٍ عجيبٍ من إحكام الرّبط بين المطلع والختام، حتّى كأنّ أوّلها ينادي آخرها، وآخرها يُتمّ ما ابتدأ صدرها، وهذا ما يسمّيه البلاغيّون ردّ العجز على الصدر.

إحكام الرّبط بين
المطلع والختام
بفنّ التصدير
البلاغيّ

"وقد انطبق آخر السّورة على أوّلها، في الإخبار بالبعث وتصنيف الخلائق فيه إلى الأصناف المذكورة في أوّلها أيّ انطباق، وزاد هذا الآخر بأن اعتنق بدليله أيّ اعتناق، واتّفق مع أوّل التي بعدها أيّ اتّفاق، وطابقه أجلّ طباق، وخُتِمت بصفتي الرّحمة والعظمة، وجلت عن الاسم الجامع كاللّتين قبلها لما ذكره في أواخر القمر بصفتي الرّحمة والعظمة، من أنّه لم يذكر في واحدة من الثلاث أحدًا من أهل المعصية المصاحبة للإيمان؛ ليخاطب بالاسم الجامع للإهانة والإحسان"⁽¹⁾، وهنا يتولّد التّصريح، فالسّورة وقد أثارت سؤال الحياة والموت، جعلت جواب ذلك السّؤال في خواتيمها، وهنا يتحقّق فنّ ردّ العجز على الصدر، فالصدر فتح باب التّحدّي، والعجز أغلقه بحكم قاطع: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾، ثمّ عقّب بخاتمة التّسليم والخضوع: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾، فإنك ترى خيطاً بيانيّاً يشدّ أوّل السّورة بآخرها، فالسّؤال الذي طرق أسماعهم في صدرها: أنتم تكذبون بالبعث؟ أفتملكون ردّ الرّوح؟ قد جاء جوابه في خاتمتها: ها هي مصائر الأرواح، وهذا فصل الخطاب، فسبّح باسم ربّك العظيم.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 431/7.



سُورَةُ الْحَدِيدِ

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والخمسون،
سورة الرَّحْمَن من الآية 31 إلى سورة الحديد الآية 13
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والخمسون، سورة الرَّحْمَن من الآية 31 إلى سورة الحديد الآية 13
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2026.
مج. 59، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-648-68-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 59: المجلد التاسع والخمسون، سورة الرَّحْمَن من الآية 31 إلى سورة الحديد الآية 13.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ-العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-648-68-0

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-7377148 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"